

موجة الكاتبات تغزو الشاشات الدراما اللبنانية تنهض بـ"زنود" النساء!

منذ سنوات انتقل العديد من الممثلات اللبنانيات من امام الكاميرا الى ما ورائها لينهمن في كتابة نصوص، بعضها يعبر عن انشغالاتهن وهمومهن كنساء يواجهن مجتمعاً ذكورياً يضيق الخناق على المرأة وتطلعاتها، وبعضها نصوص تحت الطلب لشركات الانتاج. لكن السؤال: ما الذي اضافته المرأة المؤلفة الى الدراما اللبنانية؟

خلال العقد الاخير، شهدت الدراما اللبنانية فورة في الانتاج وطلبا متزايدا عليها محليا. في خضم هذا المشهد، برزت اسماء نسائية تولت كتابة نصوص لهذه الدراما على رأسها منى طابع (آخر اعمالها "حبيبي اللود" الذي يعرض حاليا على قناة "الجديد") وكلوديا مرشليان وصولا الى كلود صليبا وكلود ابوحيدر وغيرهن، ولو ان مرشليان تبقى الاكثر غزارة. لكن هل ما نشهده هو تطور في الدراما اللبنانية؟ ماذا عن الاضافات التي قدمتها النساء المؤلفات؟ هل ان جنس المؤلف

ينعكس على الورق الذي بين يديه؟ للجابة عن هذه الاسئلة توجهنا الى الكاتبات. لكن قبل ذلك، سألتنا الناقد اللبناني عبيدو باشا عن رأيه في الدراما اللبنانية اليوم. اعتبر باشا

كلوديا مرشليان

عن وضع الدراما، تقول كلوديا مرشليان: "ارى ان وضعها اليوم هو الافضل كما ونوعا. طبعا، تتفاوت الاعمال، لكن بشكل عام الوضع جيد لناحية الطاقم التقني والخراجي والتمثيلي، كما لجهة النصوص. كلنا يعرف ان الدراما اللبنانية هي الاقوى والاكثر جماهيرية اليوم على الشاشة من برامج الالعاب والتسلية وغيرها. بات الكل يطلبها، وهذا الامر كلفنا سنوات من العمل والتعب وربما حياتنا ككتاب.

نحن نتعب كثيرا في هذه المهنة، خصوصا اذا كان الكاتب غزيرا. انا مثلا انجزت اكثر من ستين عملا على مدى 12 سنة فقط.

الدرامي عندها. اي انه يمكن ان تكتب عملا، ثم تغيب لتكتب آخر بعد سنوات عدة. اذا كتبت منى بطريقة متسلسلة، ستأخذ حتما دراماها الى مكان عميق جدا. اما كلوديا مرشليان، فقد نجحت في مأسسة الدراما، اي انها اتخذت الكتابة مهنة، بل اقامت ورشا درامية تتولى كتابة النصوص وهي تشرف على عملية الكتابة. من جهة اخرى، انا سعيد جدا بكارين رزق الله. رغم اني لم اكن احبها ككاتبة وممثلة، لكنها كانت مفاجأة رمضان. ففي مسلسل "انتي مين"، قدمت نسا اشكاليا اختلف معه لناحية قراءة الحرب الاهلية في لبنان. لكن ان تختلف معها، يعني انها كتبت نسا ذا معنى. وهذا امر مفقود في الدرامات اللبنانية، اذ لدينا دائما قصص رومانسية سطحية تتكرر وتتناسل".

ويضيف: "ارى ان الكاتبات الدراميات اهم من الرجال، لانهن يتمتعن بحساسية فائقة ولا يمتلكن هذا اليقين الذي يمتلكه الكاتب الذكر، ما يجعلهن قلقات واكثر صدقا".



كلوديا مرشليان.

هذه وتيرة سريعة في الكتابة، تستغرق حياتي كلها. ارى اليوم ان الدراما قوية، وصارت في مكانة افضل على المستوى المحلي، كما بدأت تتخطى الحدود الى العالم العربي".

عن الاضافة التي قدمتها الكاتبات النساء الى الدراما، تجيب مرشليان: "في كل انواع الفنون، هناك لمسة شخصية من المؤلف في ذاته، وثانيا هناك جنس المؤلف. اعتقد ان الكتابة تتغير فعلا بسبب نظرة المرأة الى الامور. الكتابة ايضا حالة شخصية، تنبع من شخص المؤلف. فهو يملك نظرتة الخاصة الى المشاكل والقضايا التي يقاربها في نسه. وعادة تختلف نظرة الرجل عن نظرة المرأة لناحية الحكمة، وكيفية معالجة الامور والمشاكل وكيفية طرحها. الى جانب وضع تصور للشخصيات في المسلسل وقوتها ونوعيتها. اظن ان للمرأة لمستها في النص التي تختلف حكما عن الرجل، تماما كاختلاف المرأة ودورها في المجتمع. ليس ضروريا ان تكون هذه اللمسة اكثر نعومة مثلا، فللمرأة ايضا جانب محتال بعض الشيء، او اغوائي، وهي تفهم جيدا طريقة تفكير المرأة بشكل عام".

بينما تؤكد مرشليان على خصوصية المرأة المؤلفة، تضيف ان "شخصية الكاتب او الكاتبة حاسمة ايضا في عملية التأليف. بغض النظر عن جنس المؤلف، فإن شخصية المؤلف تحسم كيفية نظرتة الى القضايا كما كيفية معالجتها وتحليلها، وايجاد الطريقة التي يطرح فيها هذه القضايا. طبعا، جنس المؤلف حاسم يؤثر على النص وطبيعته لكن هناك ايضا عوامل اخرى كالحالة النفسية التي يمر بها، الى جانب ظروف الكتابة والتأليف، اي لناحية ان النص نابع من تجربة شخصية او طلب منه كتابة قصة معينة".

نقطة على السطر

هل للكتابة جنس؟

لا اظن ان هناك ادبا نساءيا، وادبا رجاليا! تلك ترسبات عصور غابرة، كان الرجل يظن ان في وسعه ان يبني العالم وينظمه على هواه، وحسب مصالحه، وعلى صورته ومثاله... طبعا يلجأ النقاد والقراء احيانا الى هذا التقسيم لضرورات البحث. وهذا مقبول لكن بحذر شديد. وقد يستفيد بعض "المناضلين" و"المناضلات" من شعار "ادب المرأة"، بحثا عن سلطة واهية، او لترير عشرات الندوات والمؤتمرات والمهرجانات حول العالم... وربما فكر دعاة "التمييز السلبي" ان تخصيص خانة للمرأة قد يساعدها على فرض حضورها، وعلى حمايتها من الطغيان الذكوري، باسم "خصوصية" نسائية! لكن في الحقيقة، هم لا يفعلون سوى زجها - بصورة لاواعية ربما - في خانة ضيقة، في غيتو قاتل، للتقليل من اهمية انتاجها، وخوفا من منحها صفة الادب التي تتساوى فيها تماما مع الرجل. بل قل خوفا من اشراكها الكامل في السلطة. فالادب والابداع، والمعرفة والثقافة، سلطة في نهاية الامر.

ليس هناك ادب مذكر، وادب مؤنث اذا. كما انه ليس من تراتبية في الادب. هناك ادب فحسب! باصوات ولغات وحساسيات مختلفة طبعا. الفروقات الجندرية، انما ايضا الاجتماعية والطبقية والفكرية والثقافية، تنعكس في الاسلوب والتعبير والموضوع وزاوية النظر، لكنها لا تستطيع ان تصنف الادب، او تفرق ابداعا عن اخر. وحتى في مسألة الحساسية، قد نتحدث احيانا عن انثوية النظرة لدى هذا الكاتب الرجل، او العكس بالعكس. نقرأ اي نص ادبي في معزل عن جنس صاحبه او صاحبتة... اما "الادب النسوي"، فشيء مختلف تماما: انه تصنيف يقوم على الخطاب الفكري والاجتماعي والانساني، لا على جنس الكاتب. وقد نجد كتابا منخرطين في الاتجاه النسوي، الامر الذي لا يتناقض مع كونهم رجالا، بل بالعكس..

لكن ماذا نقول، حين نقوم بجردة لاحداث الابداعات الدرامية الناجحة في لبنان، والتي فرضت حضورها خلال الموسم الرمضاني الاخير، وربما قبله او بعده، فنجد انها تمتاز بحضور طاع للكاتبات النساء؟ الكتابة الدرامية لا تشذ عن الكتابة بشكل عام. ومحاولة مقارنة هذه الظاهرة الايجابية في حياتنا الدرامية، وفهمها، تخضع للمبدأ نفسه: منى طابع وكارين رزق الله وكلوديا مرشليان والاخرى، لا يصنعن دراما نسائية، بل دراما مميزة قادرة على مخاطبة الناس. لعل من مقومات رواج المسلسلات التي كتبها، هذه الخصوصية الجندرية تحديدا.

الحساسية النسائية لا تحدد هوية العمل، انما تساهم في صنع مقومات نجاحه، من خلال نظرة خاصة الى العالم، من زاوية محددة، من موقع انساني واجتماعي مميز. الكاتب (ة) ينظر الى العالم ويراها، من موقعه الخاص. هكذا يعبر عن معاناة الفقراء والمقهورين مثلا. والمرأة في لبنان اليوم تحمل مشعل التقدم والعدالة والسلم الاهلي. لذا من الطبيعي ان تقتحم مناطق مجهولة او مهابة او محظورة، بحساسيتها ورهاقتها، فتجدد الانتاج الدرامي الذي كان يقف مترددا عند ابواب المجتمع الحقيقي... ولا يجرؤ على الدخول.

بهذا المعنى المحدد، لا مانع من تأنيث الفن، وتأنيث الدراما. فالكاتب ينقل لغة الحياة، والبطلة هي الحرية.

منى طابع

تحدث منى طابع عن تطور الدراما اللبنانية، موضحة "ان نهضتها الثانية بدأت في تلفزيون لبنان من خلال "العاصفة" مع شكري انيس فاخوري، ونحن ندين بذلك لفؤاد نعيم (مدير تلفزيون لبنان في ذلك الوقت) وبيار الزاهر اللذين اعادا مجد الدراما بعدما كان الدوبلاج قد اجتاح كل شيء. في اوائل الالفين، تحسنت الدراما. لكن اليوم، يقومون بترجمة المسلسلات التركية والمكسيكية والفرنزويلية، ودخل المنتجون في قصة الاعمال العربية المشتركة، واعتبر ان منتجنا اليوم لا يثقون بالكاتب ولا بالمخرج اللبناني. يستعينون بمخرجين وممثلين وكتاب سوريين وعرب مع تطعيم العمل بعناصر لبنانية من اجل الترويج عربيًا. وهذا مضر ولا يسمى دراما لبنانية. لكن بشكل عام، تطورت هذه الدراما، من خلال ازدياد الثقافة والانتاج والقنوات ومستوى التمثيل".

عن الكاتبة المؤلفة، علقت: "مهما كان الرجل مناصرا لحقوق المرأة ونسويا، الا انه لا يعيش ما تعيشه المرأة من غياب العدالة



منى طابع.

والظلم القانون الذي لا يحميها لا كزوجة ولا كأم ولا كابنة. لذا، فطرح المؤلفة لهذه المواضيع يكون اكثر جرأة من طرح الرجل. في الاعمال التلفزيونية في الماضي، كنا نرى المرأة في شخصية ناعمة وطيبة ومغلوب على امرها. لكن اليوم مع النساء المؤلفات،

بتنا نرى المرأة القوية في المسلسلات التي كتبتها مثل "ابنة المعلم" و"عصر الحرير"، و"فاميليا" وغيرها. اعتقد ان المرأة المؤلفة تميزت فقط لناحية طرح قضايا المرأة فقط. اما الباقي من الاعمال، فالامر يرتبط بشخصية الكاتب ومهارته".

كلود صليبا

تري كلود صليبا ان الدراما اللبنانية "تحسنت في اماكن كثيرة، بينما تراجعت في مطارح اخرى. التحسن شهدناه على صعيد الانتاج الذي بات اضعف واكثر سخاء، الى جانب التنوع في المخرجين والممثلين والمؤلفين والمواضيع. هذا التحسن بدأ منذ عشر سنوات تقريبا. لكن من جهة اخرى، جاءت عملية تطعيم الدراما بعناصر عربية ليفقدتها هويتها. منذ ثلاث سنوات، رأينا ضياعا كاملا لهذه الهوية، وفي رمضان الماضي، لم نشاهد سوى مسلسلين لبنانيين تقريبا بشكل خالص. وهذا انعكس سلبا لأنه بات لدينا مسلسل من انتاج واخراج وتمثيل سوري مع تطعيم بعناصر لبنانية. وهذا ليس لا دراما لبنانية ولا



كلود صليبا.

امرأة تريد ان تعكس وتخرج ما في داخلها من افكار وتطلعات واحاسيس. وهذا جيد والمشاهد يحبه. وحين تكون المرأة مؤلفة، تختلف نظرتها ومقاربتها الى القضايا. على الصعيد الشخصي مثلا، كنت اول مؤلفة في لبنان تكتب عن الامهات العازبات في مسلسل "لولا الحب". حين كتبه، فعلت ذلك انطلاقا من قناعاتي وموقفي المناهض للاجهاض، وانطلاقا من كوني اما واعرف معنى الامومة وعمقها. لا اعرف ان كان الرجل المؤلف كان سيعالج القصة بالطريقة نفسها. وبشكل عام، المرأة المؤلفة اعطت الكثير للدراما، ووضعت اصبعها على الجرح وقاربت قضايا لم تقاربها الدراما من قبل".

الفرصة لنقل ما يعانيه المجتمع اللبناني". عن الاضافة التي قدمتها الكاتبات النساء الى الدراما، تجيب صليبا: "بطبيعة الحال، حين تكون الكاتبة امرأة، تتغير وجهة النظر الى الكثير من الامور والقضايا المطروحة في المسلسل. وهذا الامر يحصل لاراديا لأنها امرأة بطبيعة الحال. مثلا، حين كان العنصر الذكوري طاغيا في التأليف، كنا نرى البطل رجلا، ونادرا ما رأينا امرأة بطلة. وان كانت كذلك، كانت تصور دوما معتمدة على رجل. اما الآن بعد تكاثر العنصر النسائي في التأليف، فقد تغير الوضع. صرنا نرى بطلات مستقلات لا يحتجن الى مساندة رجل في القصة للوصول الى مبتغاهن. وهذا عائد الى ان المؤلف هو

سورية. اما النقطة الثانية، فهي القصة التي تعالج في هذه المسلسلات، اذ فقدت عمقها، وصارت طريقة المعالجة سطحية تأثرت ربما بالنمط التركي المستورد، وغلبت المشهدية على عمق الفكرة المطروحة. باتت لدينا الديكورات الفخمة والمناظر الخارجية النظيفة والجميلة كأنك تشاهد كليبيا غنائيا. في الماضي، كنا نرى نصوصا رائعة بانتاج متواضع لكنها حفرت فينا مثل مسلسلات الكاتب الكبير مروان نجار حيث عمق القصة، والمشاهد يتماهى مع الشخصيات التي تشبهه بالمعاناة نفسها. بتنا اليوم نستورد الافكار ولم تعد الدراما طالعة من الواقع اللبناني كما في الماضي مع ان الانتاج بات اضعف، ويجب ان نستغل هذه

كلود ابو حيدر

بدورها، ترى كلود ابو حيدر ان الدراما اللبنانية اليوم "تشهد اليوم ضخامة في الانتاج وازديادا في عدد الكتاب والمسلسلات. لكن هناك مأخذ كثيرة. فعندما نضيء على حالة معينة في النص من دون اعطائها ابعادا تتطور خلال القصة، فاننا نقدم معلومات فقط. المشاهد يحتاج الى ان يتماهى مع الشخصية، يشعر بالغضب، والخوف، والرومانسية، والقوة معها. حين تمر حلقات من دون اي حدث، وتقع الحلقات في الفراغ والتكرار فقط لمجرد التطويل، فهذا غير مقبول. وهذا ينطبق على الدراما في الماضي واليوم".

في خصوص الاضافة التي جلبتها الكاتبات المؤلفات الى الدراما اللبنانية، تعلق: "كلما تقدم الكاتب في السن، يزداد خبرة ونضجا. العمر يلعب دورا مهما، فالكاتب يجب ان يتمتع بنضوج فكري وروحي، ويكون ضليعا في رسم خط لكل شخصية وكيفية تصرفها وتفكيرها ورسم ابعادها. الكاتب الناضج يجيد رسم حضور لكل شخصية بشكل يجعلها مميزة وفريدة عن الاخرى



كلود ابو حيدر.

واقامة بشكل كامل. هناك تفكير سائد بأن الكاتب الرجل لن يعرف ما الذي تشعر به المرأة او العكس بالعكس. لكن بالنسبة الي، الشخص يصبح ناضجا حين يستطيع ان يفهم مشاعر الجنس الآخر. من جهة اخرى، هناك الكاتب الذكوري الذي يحجم المرأة، لهذا، فالمرأة ناضلت على مدى اجيال لتبرهن عن

مكانتها ووجودها ومقدرتها، لذا تستطيع اختراق القضايا المطروحة في النص بشكل اعمق. لهذا اذا قارنا الاعمال المكتوبة من الجنسين، نرى ان المرأة تجسد الشخصيات التي تكتبها بشكل افضل، وتصيب الامور بطريقة اشمل".